

فن الشعر عند المولوي ذوالفقار علي الديوبندي (1821-1904م):

دراسة وصفية تحليلية

The Art of poetry for Mawlavi Zulfiqar Ali al-Diobandi

(1821-1904)

(Analytical descriptive study)

Dr. Nazir Ahmad

Lecturer, Department of Translation and Interpretation, Faculty
of Arabic Language and Literature, International Islamic

University Islamabad - Pakistan

Email: nazirahmed@iiu.edu.pk

Dr. Hafiz. Muhammad Aslam

V. Assistant Professor, Faculty of Arabic Language and
Literature, International Islamic University Islamabad - Pakistan

Email: hafizaslam786@gmail.com

ABSTRACT

This Abstract highlights the study of the personality of Mawlavi Zulfiqar Ali al-Deobandi (the father of Mawlavi Mahmud al-Hassan, known as Sheikh of India), who was one of the scholars in India in the twentieth century. It deals with his creative work especially his artistic Arabic Poetry work where he has 10 long and short Arabic Poems which called "Qasaid" in Arabic poetry. So the abstract through the light on the personality of Mawlavi Zulfiqar Ali al-Diobandi and his literary and creative poetry works. So as for the researcher will study his personality and also describe his great and venerable poetry and its forms and categories like as al-Madh, al-Ghazal, al-Resa, al-Wasaf and al-Zuhd. In addition to that he will also elaborate the some important characteristics of his Arabic Poetry as well.

Key words:

Mawlavi Zulfiqar Ali, personality, art of poetry, poetry forms and categories, important characteristics of poetry.

فن الشعر عند المولوي ذوالفقار علي الديوبندي (1821-1904م)

التمهيد

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على سيد الرسل والأنبياء، وصحبه والتابعين لسيرته وهديه أما بعد:

نشأ بشبه القارة الهندية طائفة من العلماء الذين نالوا حظاً وافراً من الأدب العربي شعراً ونثراً وتعايشوا مع الأدب درساً تارة وتدرّيساً أخرى وإبداعاً فيها تارة ثالثة.

والمولوي ذوالفقار علي الديوبندي أحد هؤلاء الأدباء والشعراء، وهو بأعماله التي قدمها في حقل الأدب - تمثل حلقة مهمة من هذه السلسلة التي سبق ذكرها.

فهذه المقالة المتواضعة تتحدث عن شعر المولوي ذوالفقار علي الديوبندي وتلقي ضوء على جوانب كثيرة من جهوده المتواضعة في قرض الشعر العربي. والمقالة تتحدث عن موضوعات شعره من جانب وعن خصائصه الشعرية من جانب آخر.

أولاً: المولوي ذوالفقار علي الديوبندي (والد شيخ الهند المتوفى 1339هـ)

ولد الشيخ بسنة 1237 من الهجرة الموافق سنة 1821 الميلادية.⁽¹⁾ واسمه الكامل "ذو الفقار علي بن الشيخ فتح علي" (2) وكان معروفاً بـ "المولوي ذوالفقار علي الديوبندي". فكلمة "المولوي" هولقبه، إنه لقب به على عادة العامة في الهند كما حامل العلوم الدينية يلقب بكلمة "المولوي" في شبه القارة الهندية وباكستانية. وأما المراد بـ "الديوبندي" فهي نسبته إلى منطقة "ديوبند" التي ولد فيها الشيخ وترعرع وعاش فيها.

بدأ الشيخ دراسته الابتدائية في بيته من أخيه الكبير الشيخ المولوى مهتاب على. وارتحل إلى مدينة دهلي، وقرأ على المولوى مملوك علي (المتوفى 1267هـ)، ومفتى صدر الدرالدين (المتوفى 1285هـ). وبعد إكمال دراسته العليا عين محاضراً بكلية بريلي. (3) وأصبح قاضياً فخرياً بديوبند بعد تقاعده على المعاش. (4) وكان الشيخ من الأولين السابقين الذين أعطوا التبرعات لمدرسة دارالعلوم وكان من مؤسسيها والمعاونين لها. (5)

وتوفى الشيخ بتاريخ خمسة عشر من رجب سنة 1322هـ الموافق 1904م، وكان عمره خمسة وثمانين عاماً. (6)

من مؤلفاته

الهدية السنية ، وتذكرة البلاغة ، وتسهيل البيان في شرح الديوان لأبي الطيب، وتسهيل الدراسة إلى ترجمة الحماسة، والتعليقات على السبع المعلقات، وعطر الورد في شرح البُرْدَة، والإرشاد إلى بانة سُعاد.

ثانياً: فن الشعر عند الشيخ ذوالفقار علي

قبل أن ندخل في الموضوع يجب أن نأخذ بالاعتبار أن الشعر لم يكن موضوع عناية جادة واهتمام جدير بالذكر لدى الشيخ - رحمه الله - لأسباب معروفة وأكثرها وقعا وأهمية هو أن الإسلام لم يشجع هذا الفن وأصحابه وحتى إن بعض الأئمة والمشائخ المتقدمين رأوا أن الشعر يزرى بشأن العلماء فقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

ولكنه مع ذلك قد خلف في هذا المجال آثارا تدل على ذوقه الأدبي السليم وقدرته الموفورة على قرض الشعر باللغة العربية ونسجه على منوال الشعراء المتقدمين وتشجع في تطبيق ذلك القدرة من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا". (7)

ويوجد للشيخ ثماني قصائد في الشعر العربي، (8) أربع قصائد منها في المدح، قصيدتان في مدح السلطان عبدالحميد الثاني (المتوفى سنة 1918م) إحداهما تشتمل على 55 بيتا والثانية 28 بيتا، وقصيدة أخرى في مدح محمد قاسم النانوتوي وهي تشتمل على 22 بيتا، وكما أن له قصيدة أخرى في مدح فصاحة العرب وشجاعتهم تحتوي على 13 بيتا. وقصيدة في وصف الأبنج وهي فاكهة من فواكهة، وتشتمل على 27 بيتا.

ثانيا: الأغراض الشعرية عند الشيخ ذوالفقار علي

أما الموضوعات والأغراض الشعرية التي تناولها الشيخ في شعره فهي الغزل والمدح والوصف والثناء والزهد فقط إلا أنه ما يتعلق بالغزل بمعناها المعروف فشتان ما بينه وبين الشيخ فلا تجد في شعره بالطبع ما يزرى بشأنه من ألوان المجون والانحلال الخلقي والتعرض لوصف بنت حواء. وما جاء في قصائده من النسيب ليس المقصود من ذلك إلا اتباع الشعراء المتقدمين من العرب والغرض الوحيد من ذلك هو تحسين الكلام دون سواه.

1- الغزل

ظل الغزل فنا محبوبا عند الشعراء كافة، حيث تغنوا به جميعهم واتخذوه حلية لقصائدهم وزينة لأشعارهم، ويعد الغزل من أقدم الفنون الشعرية

وأكثرها انتشارا وشيوعا، لكونه منوطة بالإنسان وتجاريه الذاتية بالحب وتوظيف العواطف والأحاسيس، وللغزل نوعان: العفيف والصريح. ويمتاز شعر الغزل بأنه جاء بعيدا عن الزرفة والتكلف وإنما مشاعر الشاعر تنساق وتسترسل في عواطفه ويعبر عنها بكل عفوية. (9)

فلا يخفى علينا أنما قاله الشيخ من شعره في هذا النوع وإنما هي محاكاة لأساليب العرب فحسب. انظر في القصيدة مدح بها الشيخ ممدوحه السلطان عبد الحميد الثاني (المتوفى سنة 1918م) فجاء بالنسيب كمقدمة لها:

يا قاسي القلب يا من لج في عذلي	إليك عني فإني عنك في شغل
وكيف تعرف حال المستهام أيا	من لم تصبه سهام الأعين النجل
فالخليون في خفض وفي دعة	وقد أرت بدمع سائل همل
قد صادني عرضا روسية غنيت	بحسنها عن جمال الحللى والحلل
سفاكة وحياة العاشقين بها	فتاكة وهى مع ذا مرهم العلل
هيفاء ضامرة لعساء غادرة	بيضاء ساحرة بالغنج والكحل
كالشمس تبدو جهاراً غير خافية	ولا تستر بالأستار والكلل
أتت إلي بعيني جوذر فغدا	قلبي جريحاً بجرح غير مندمل
فيا بني الأصفر التزوير شيمتكم	تلقيكم خودكم في الشر والغيل
قولوا لها الآن إن شئتم فلاحكم	أن صبك المبتلي لا تهجري وصلي (10)

فيتضح من مطلع القصيدة أن الشيخ أجرى التشبيب بإمرأة روسية، وهذا يدل على أن حبيبته مجازية لاحقيقية حيثما لم يذكر الشيخ اسم حبيبته ولم يذهب إلى الروس قط، فكيف نستسلم بأنه وقع في مصيدة حسن امرأة روسية وصبايتها. بل حقيقة الأمر أنه جعل الروس في صورة خيالية شعرية

امراً جافة قاسية القلب، ويتغزل بها ثم يخاطب بني الأصفر أن يقولوا لها أن تتوب من جفائها- حيث إنه كان يزعمون البلاد المسلمين- وإلا أستغيث من السلطان عبدالحميد الثاني خليفة المسلمين. فالشيخ رأى أن الشعراء القدامى زينوا قصائدهم بمقدمات الغزل لأن الإنسان يميل إلى الجمال ويرغب في الحسن بحكم عواطفه الرقيقة. وأما الشيخ فكان رجلاً متديناً ويقتضي تدينه احتراز الغزل الماجن، فجاء بأسلوب جديد وخيال بديع حيث اعتبر الروس امرأة حسنة ذات غنج ودلالة متغنية من جمال الحلوى والحلل ثم- حسب قول ابن قتيبة- وصل ذلك بالنسب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق، يميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ليستدعي به إصغاء الإسماع إليه لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله فتركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء، فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسببٍ وضارباً فيه بسهم حلالٍ أو حرامٍ. (11) وساعد الشيخ على هذا الأسلوب ذوقه المرفه الأدبي الرفيع.

2- المدح

قال علماء: "اللغة المدح بمعنى الوصف الجميل ومقابله الذم، المدح مصدر والمدحة بالكسرة اسم والأمدوحة بالضم ما يدل به من الشعر وجمع مديح ومدائح وجمع أمدوحة أماديح". (12)

والمديح باعتباره غرضاً من أغراض الشعر شاع في نتاج كثير من الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي أمثال النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى حينما أعجب شعراء الجاهلية بالرجال المتفوقين من الملوك والوزراء والأغنياء من حيث الخلق والشجاعة والكرم والجود فأصبح حرفة

لاكتساب المال حتى العصر العباسي. ولكن تجد هذه القضية في شعر الشيخ عكساً تماماً. وميزة الشيخ أنه لا يمدح شخصاً إلا بما فيه صفة من صفات الخلق والفضائل، فانظر في القصيدة مدح بها السلطان عبد الحميد الثاني:

إن لم تتب من جفاها قد عزمتم على أن أستغيث بسلطان الوري البطل
عبد الحميد أمان الخائفين مبيد الظالمين سديد القول والعمل
كهف الأنام مغيث المستضام له إلى أقاصي المعالي أقرب السبل
العادل الباذل المرهوب سطوته في الجود كالجبريل كالعارض الهطل
غوث الوري خادم الهرمين معتصم المكروب غيث الندى يهيم بلامطل
شهم همام أمير المؤمنين وسلطان السلاطين نجل السادة الأول
رأس لكماة إمام للغزاة ومقدام الحماة لدين أشرف الملل
غشمشم ندس قرم أخى ثقة ماضى الغريمة من خمر العلى ثمل (13)
فمدح السلطان بصفات طيبة وحضائل محمودة وبمبالغة مقبولة، أنه أمان
الخائفين وقاهر على الظالمين ومتشدد عليهم وصاحب سديد القول
والعمل ويسقي الناس من خمر العلى. وأنه يهيم بالمظلومين بغير توقف
ولا تردد وشبهه في الجود بالبحر تارة والعارض الهطل تارة أخرى.

فالناظر في القصائد المدحية للشيخ يدرك أنه لم يطرق فيه باب
المدح المتجامل الذى سلكه عدد من الشعراء طريقاً إلى الملوك والوزراء إذ
قبلوا منهم الصلة على الشعر فكانوا يبالغون في ذكر مآثرهم في كل
مناسبة، مما قل من شأن الشعر وجعله سلعة يستغلونها وسيلة للاستزاق.
(14) أمّا الشيخ فلا يصف شخصاً إلا بما كان فيه ولا يمدح من الرغبة
والعطاء ولا طمعاً في الصلة.

3- الوصف

الوصف لغة الكشف والإظهار، يقال: وصف الثوب الجسم: إذا نم عليه ولم يستره، وهو ذكر الشئ بما فيه من الأحوال والهيئات، ويختص بالحيوان والنبات والأرض والماء والسماء وغيرها، كما أن المديح والهجاء والرثاء والنسيب مختصة بالإنسان وطبائه ومزاياه. (15)

والمراد هنا الوصف الأدبي الذي يعتمد على الخيال وصدق التعبير والعاطفة وللشيخ قصيدة وحيدة في وصف الأبنج وهي فاكهة من فواكهة التي تشرف بها الله تعالى أرض شبه القارة الهندية والباكستانية، فوصف الشيخ لنا صورة الأبنج بأسلوب شيق ممتع ورسم صورتها فنقلها كأنه آلة تصوير، ونقلها إلينا ممزوجة بمشاعره. فانظر في الأبيات الخمسة من هذه القصيدة الوصفية:

يا حسن حمرتها وخضرتها وصفـرتها على الأشجار في الروضات
فكأنها ألوان وجنات الحبائب مسها العشاق في الخلوات
وإذا عصارتها مصصت وجدتها أحلى كمثل رضاب محبوبات
وترى ثماراً علقت في غصنها مختوم راح في أكف سقاة (16)
فإن الأبيات حافلة بصور من الخيال البديعي وهي لا تخلو من روعة
البيان وجودته، في هذه القصيدة سعى الشيخ باحتذاء كثيرا من الشعراء
العرب الذين برعوا في وصف جمال الطبيعة وافتنوا في ذلك افتنانا، حتى
لقد كان بعضهم يستمدون من مظاهر الطبيعة ألوانا لخيالهم في المدح
والغزل والرثاء، كما يصف شوقي النيل في صورة الغزل:
من أي عهد في القرى تتدفق وبأي كف في المدائن تغدق (17)

فالشيخ مزج الوصف بالغزل حيث شبه لون الأنثى بخدود الحبايب في حالة معينة إذ مسها عشاقهن، وشبه عصيرها برضاب المحبوبات ، ففي ذلك يشبه الشيخ كثيرا بالمتني، كما أنه يصف كيفية المطر والأرض:

ألم تر أيها الملك المرجى عجائب ما رأيت من السحاب
تشكي الأرض غيبته إليه وترشف ماءه رشف الرضاب (18)

4- الرثاء

"الرثاء من فنون الشعر القديمة، ارتباط بوجود الإنسان على هذه البسيطة فيوم أن وجدت الحياة، وجد مع الحياة الموت ، وطالما بكى الإنسان وصاح على من ذهب من أقارب وأحباب، والموت من الظواهر التي هزت الشعراء وحركت عواطفهم فبكوا، واستبكوا، وناحوا على الحبيب المفارق والخل السابق ومنهم من بكى وشج بأعلى صوته كالخنساء، ومنهم من بكى وتأمل كأبي ذؤيب . ولكل شاعر مذهبه من النوح والبكاء وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام". (19) ونظم الشيخ مرثية وحيدة في هذا الغرض الشعري يرث بها محمد قاسم النانوتوي، وتشتمل المرثية على 15 بيتاً.

رثا الشيخ ممدوحه بأسلوب سهل واضح، فيتصف به - إذ كان ممدوحه رجلاً متديناً وصاحب أخلاق طيبة- بصفة قرى الضيف ومساعدة المساكين والمكروبين والمحزونين، فيقول مخاطباً له، من لهؤلاء المساكين إذ ارتحلت من هذا الكون إلى دارالبقاء، فإنهم أصبحوا يتامى بوفاتك، انظر في القطعة من القصيدة:

يا قاسم الخير من للعلم والدين إذا ارتحلت وارشادٍ وتلقين
يا قسم الخير من للطارقين ومن للضارعين ومكروبٍ ومخزون

يا قسم الخير اسمع من لكربتنا يا قاصم الضير قل من للمساكين
من للمدارس من للوعظ من لهدى من للنكات وتوضيح و تأبين (20)
فيتضح لنا أنه رثا ممدوحه بإجادة البيان والتأثير بدون أن يتورط في المبالغة
الركيلة في الإطراء والثناء والوصف، وتجد عاطفته الصادقة وهي عاطفة
حزينة وهادئة في نفس الوقت، وتلمح فيها الصدق، وإن تكرار النداء قد
زاد من الشعور بهذه العاطفة.

5- الزهد

الزهد لغة هو عدم الرغبة، فيقال: زهد في الشيء إذ لم يرغب فيه، ويقول
ابن دريد: "إن الزهد خلاف الرغبة، والزاهد في الدنيا التارك لها فيها". (21)
واصطلاحاً هو "حنين الروح إلى مصدرها الأول لمعرفة الخالق عن طريق
الزهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عن نعيمها، وتفضل نعيم الآخرة
عليها". (22)

ف نجد عند الشيخ بعض الأبيات من هذا النوع، فانظر في القصيدة مدح
بها الشيخ ممدوحه المولوي محمد قاسم النانوتوي فقال في مطلعها:

حَتّام تشغل بالدنيا عن الدين أما ترى أزمة حلّت بقارون
لا تزهون بما قد حُزّت عاريّة فإنما أنت مسكين بن مسكين
كيف تعلو علو النار عن سفهٍ فإن أصلك من ماءٍ ومن طين
إصبر قليلاً ودع ذا الجد معتقداً إن الذى هو رزقى سوف يأتي

كن جلس بيتك قدماً واعتزل أبداً إن كنت ترضى بعيش غير مفتون (23)
اعتنى الشيخ في هذه القصيدة المدحية بمقدمتها وقد أتى بالحديث
عن الزهد مقدّمة لها وتمهيدا لغرضه الرئيسي، فيلمح قصة قارون صاحب
مالٍ كثير من قوم موسى -عليه السلام - ويعظ مخاطبه بأنك إلى متى

تكون مشغولاً بأمور هذه الدنيا من اكتساب المال والشهرة فلا تزهون بما لديك من مال وشهرة لأن ليس له بقاء، فهل أنت ما سمعت قصة قارون وماله؟

ثالثاً: خصائص شعر الشيخ ذوالفقار على وميزاته

يمتاز شعره بعدة خصائص وميزات ومنها كما يلي:

1- العاطفة:

تعد العاطفة من أبرز أركان الصورة الشعرية، ويمكن التعبير عنها بأنها " الانفعال النفسي المصاحب للنص ". (24) وهذه العاطفة أو المشاعر الشعرية لا يكمن فصلها عن النص بل إن دراستها مهمة لبيان جماليات النص الأدبي يقول الناقد الكبير سيسل دي لويس " عندما نتحدث عن الخيال الشعري نتحدث عن المشاعر التي تعم كل الناس - ولو إن هذه المشاعر تكون في الشاعر نموا وتركيزا وتخصصا - هذا التعاطف للوصول إلى أشياء لا يمكن بلوغها بوسيلة أخرى " (25)

وتختلف أنواع العاطفة من حبّ أو كره إلى حزن أو فرح أم إعجاب وفخر، فنجد في شعر الشيخ العاطفة مع بعض أنواعها فمثال عاطفة انظر إلى القطعة الشعرية من قصيدته مدح بها العرب:

ياسادتي مالكم جرتم على دنفٍ صبّ كئيبٍ سقيم الحال والبال
إذا تألق برق من جنابكم تجرى عيون عليكم مثل هطّالٍ
أوهبت الريح من تلقاء أرضكم أميلٌ وجدًا كغصن البانٍ ميّال
عهدي بكم حافظي حق الهوى أبداً فمالكم تنقضون العهد أو مالي
عشتم أجباى بالعيش الرغيد وإن نسيتموني فعنكم لست بالسالي (26)

فتجد فيها عاطفة جياشة ملتهبة، وهو عاطفة الحب والحنين والشوق وانظر إلى المعاني تعبر عن عاطفة قوية وانفعال حاد وأحاساس شديد وتأثير عميق. فانظر إلى الأبيات مرت بنا في أعلاها من قصيدة الرثاء:

ياقاسم الخير من للعلم والدين إذا ارتحلت وارشادٍ وتلقين (27)

فعاطفة الشيخ هنا واضحة وهو كتيب حزين عبر عن عاطفته تعبيراً صادقاً بغير إغراق في الخيال ولعلّ أسلوب تكرار النداء قد زاد من الشعور بهذه العاطفة.

2- الصورة والخيال:

"الخيال هو الوسيلة التي يستطيع إن يستكشف بها أنماطاً من الواقع، والصورة الشعرية في شعره هي الضوء الساطع الذي به يظهر لنا هذه الأنماط". (28)

ينظر الشاعر كغيره من الناس إلى الأشياء في الحياة وينفعل بها ولكن نظرتة إلى شئى وانفعاله به لا يكون كنظرة عامة الناس وموقفهم منه، بل يكون انفعالاً مؤثراً صادراً نتيجة خيال موسع وتصوير رائع، وهذا ما أطلق عليه الصورة الشعرية التي تعتبر "أداة الشاعر لنقل تجربته الشعرية والفكرة التي انفعل بها إلى الآخرين على نحو مؤثر" (29) وعلى ذلك فالصورة جوهر فن الشعر وليست حلى زائفة إذ عليها يعتمد الشاعر في توليد المعاني الشعرية. (30)

ف نجد في شعر الشيخ خيالاً رائعاً وصورة جيدة فعلى ضرب المثال أنظر في القطعة قد مر ذكرها في أعلاها وصف بها الأنج، ومنها هذا البيت:

وترى ثماراً علقت في غصن مختوم راح في أكف سقاة (31)

فأنه نقل لنا صورة الأنج بأسلوب مجتذب وبصورة رائعة .

3- الاقتباس والتضمين:

من أهم ما يمتاز به شعر الشيخ هو كثرة الاقتباس من القرآن الكريم بالدرجة أولى ومن الحديث والمصطلحات الفقهية ومن الشعر العرب وتراث العرب بالدرجة الثانية فإليك أمثلة من كل نوع بالاختصار والإيجاز.

الاقتباس من القرآن الكريم، نحو:

أوهبت الريح من تلقاء أرضكم أميل وجداً كغض البان ميا (32)
يقتبس الشيخ معنى البشرى في هذا البيت من قوله تعالى: (وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته..) (33)

الاقتباس من الحديث الشريف والمصطلح الفقهي، نحو:

العلم علق نفيس يستضاء به فاطلب ولو كان هذا العلق بالصين (34)
فعجز البيت مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أطلبوا العلم ولو كان بالصين". (35)

ج- ولمثال المصطلح الفقهي أنظر القطعة التالية:

فدع التنسك ساعةً بخلاعةٍ نقضي فرائض هذه الأوقات
نلهو ونترامى الثمار وحبها وقشورها ببدائع الحركات
نفري شرور الدهر عنا يومنا بترنم العظام زفات
ولئن تلمك اللائمون فقل لهم الاضطرار تبيح محظورات (36)
ففي البيت النهائي تلميح للمصطلح الفقهي: "الضرورات تبيح المحظورات" ومن ثم جاز أكل الميتة المخمصة وأساعة اللقمة بالخمر وغير ذلك". (37)

د- الاقتباس من الأشعار العربية وتراث العرب:

أما مثال اقتباسه من الأشعار فنحو:

سقى الإله ضريحاً أنت ساكنه ويرحم الله من يمدد بتأمين (38)
فهذا البيت يذكرنا بالبيت المشهور لقيس ابن ملح الشهير بمجنون ليلى
العامرية، حيث قال:

ياربّ لاتسلبني حُبّها أبداً ويرحم الله عبداً قال آمينا (39)
وانظر البيت التالى لمثال ضرب المثل:

حماكم الله مأمضى سيوفكم قطعتموهم وهم أكسى من البصل (40)
فالجملة "أكسى من البصل" محاورة تضرب لرجل الذي يكون ملبوسا بكثير
من السلاح.

4- اختتام القصائد بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه
وسلم:

ومن أهم ميزات شعره إنه انتهى من معظم قصائده بصلاة وسلام على
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فعلى ضرب المثل أنظر إلى البيت
التالى:

وعلى سيّد الإمام سلام ما تنير الصبا سحاباً ثقلاً (41)

5- الموسيقى الشعرية:

"هي قدرة الشاعر على اختيار ألفاظه اختياراً موفقاً، فحين ينظم بعضهم
بعض تكون بمثابة اللحن المنسجم الذى تنهادي أنغامه إلى الأذن فى رفق
ودقة أو فى عنف واندفاع ولكن لانستطيع تحرير مصدر الانسجام الذى
نلتذبه تحريراً قاطعاً " (42)

فإليك قطعة من قصيدته مدح بها السلطان عبدالحميد الثانى:

للهدم ما رفعوا للخرق مارقعوا للنهب ما جمعوا بالذور والبخل
 للسبي ما ولدوا للخرق ماحصدوا للسلب ماحشدوا بالغدر والدغل
 فالكفر في خطرٍ والدين في ظفرٍ والروس في خجلٍ والروم في جزل (43)

فتحس موسيقة مندفعة في هذه القطعة واضحة بإنسجام الكلمات ذات
 جرس وسجع ونغمة انسجاماً متناسقة ومن هذه الكلمات صاحبة ذات
 جرس قوي نشعر فيها حقيقة تغلب جيش السلطان .

رابعاً: محاسن شعره :

استعان الشعراء في أشعارهم طائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية لغرض
 التأثير في سامعيهم من جانب ولا اتصالها بالأسلوب الأدبي من جانب
 آخر. وقد اعتنى الشيخ بالمحسنات المعنوية واللفظية في شعره دون تكلف
 أو افتعال بل لإظهار الصورة بأجمل حلة وأزهى أسلوب ومن محاسنة
 بديعية نجدتها في شعر الشيخ فيبان بعضها فيما يلي:

1- الطباق:

هو نوع من البديع المعنوي، وهو الجمع بين لفظين مقابلين في المعنى،
 كما قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن...﴾ (44)
 فمن هذا النوع قول الشيخ :

سفاكة وحياة العاسقين بها فتّاكة وهي مع ذا مرهم العلل (45)
 فالطباق بين (سفاكة) وبين (حياة العاشقين)، وكذلك بين (فتّاكة) وبين (مرهم
 العلل).
 وقوله:

أعداءكم في حضيض الذل من خبل أحبابكم من ذرى العلياء في قلل (46)

والطباق في هذا البيت بين كلمتي: (أعداءكم وأحبابكم) وكذلك في (حضيض الذلّ وذري العليا).

وكذلك البيت التالي:

كهف الأنام مغيث المستضام له إلى أقاسي المعالي أقرب السبل (47)

2- التسميط:

وهو نوع من البديع اللفظي، وهو أن يجعل الشاعر بيته على أربعة أقسام، ثلاثة منها على سجع واحد، بخلاف قافية. كقول جنوب الهذليّة:

في ثغره لعس في خده قبس في قدّه ميس في جسمه ترف (48)

والشيخ سعى في كساء هذه الحلية من البديع اللفظي حيث قال:

هيفاء ضامرة لعساء غادرة بيضاء ساحرة بالغنج والكحل (49)

وقوله:

للهدم ما رفعوا للخرق ما رفعوا للنهب ما جمعوا بالذور والبخل

للسبي ما ولدوا للحرق ما حصدوا للسلب ما حشدوا بالعدر والدغل (50)

3- الجناس اللفظي غير التام:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من أربعة أشياء: نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى. نجد هذه الصنعة أيضاً في شعر الشيخ، نحو يقول في إحدى قصائده:

يا قاسم الخير اسمع من لكربتنا يا قاسم الضير قل من للمساكين (51)

فانظر في لفظين: (قاسم وقاصم) وكذلك (خير وضير) جناس لفظي غير تام.

والبيت التالي:

فاقطع رؤوس الروس رأس الكفر ملعون طريد (52)
فالشاهد هنا كلمات: (رؤوس) و(الروس) و(الرأس) من الجنس غير
التام.

4- السجع:

هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر. لأن موطنه نثر، وقد يجيء
فالشعر نادراً. ولا يستحسن السجع في الشعر إلا إذا جاء عفواً، خالياً
من التكلف والتصنع. وقد استعان الشيخ من هذا الصنف أيضاً فعلى
ضرب المثال أنظر البيت التالي:

فالكفر في خطرٍ والدين في ظفرٍ والروس في خجلٍ والروم في جزل (53)

خامساً: الخاتمة

وفي الختام أود الذكر بعض النتائج توصلتني أثناء دراستي لهذه المقالة،
فبيان بعض منها كالتالي:

إن الشيخ -رحمه الله- تناول في شعره بعض الأغراض الشعرية التقليدية
من المدح والغزل والوصف والثناء وغيرها. وكان المدح عنده غرض رئيسي
حيث قرض فيه نصف القصائد من شعره.

تبين لي أن الشيخ لم يطرق في قصائده باب المدح المتجامل الذي سلكه
عدد من الشعراء طريقاً إلى الملوك والوزراء، إذ قبلوا منهم الصلة على
الشعر فكانوا يبالغون في ذكراً أثرهم في كل مناسبة وغير مناسبة، مما قل
من شأن الشعر وجعله وسيلة للاستزاق، وأما الشيخ فلم يمدح شخصاً
إلا بما رأى فيه، حيث إن مدحه ناشئ عن الإعجاب والإكبار، إعجاب
بصفات ملأ قلبه فجرى لسانه.

الغزل نبض الشعر وهتاف الحياة، فيه يتحدث الشاعر عن مشاعره وعواطفه، ويرسم لوعته واشتياقه. وكان اعتناء الشيخ بالغزل لحسن الأسلوب والاجتذاب فحسب فإنه ما تورط في الغزل المتجامل. تحقق لدى الباحث أن خصائص الشعرالشيخ تتمثل في عدة جوانب، منها:

اقتباس من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والمصطلحات الفقهية وتراث العرب والإشارات التاريخية. وختم معظم القصائد بصلاة وسلام على سيد الأنبياء وختم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم . وقع في أبيات الشيخ تشابه كبير بأشعار الشاعر المتنبي في أسلوب الوصف وغير ذلك. اعتنى الشيخ ببعض المحسنات المعنوية واللفظية منها صنعة الطباق والتسميط وصناعة الجناس والازدواج وغير ذلك.

الهوامش

(1) أصغر حسين، حياة شيخ الهند، ط 1 سنة 1977م، الناشر، إدارة الإسلاميات بلاهور-باكستان، ص12

Asghar Hussain, Hayat Shaikh ul Hind, 1977, publisher, Idara al-Islamiyat Lahore, Pakistan, p 12.

(2) انظر: أصغر حسين، حياة شيخ الهند، ص:13 وكذلك أورد الشيخ اسمه في نهاية مقدمة كتابه "تسهيل الدراسة في شرح ديوان الحماسة (بالأردية)، ط2، سنة 1919م، الناشر: مطبع مجتباي بدلهي، ص:1

See: Asghar Hussain, Hayat Shaikh Ul Hind, p 13, also: The Shaikh mentioned his name in the preface of his book entitled "Tasheel al Dirasa fi Sharh Diwan al Hamasa, (Urdu version), edition 2nd, 1919, publisher, Matbah Mujtabai Dilhi, p 1.

(3) هي مديرية بالهند.

It a city located in India (Hind).

(4) السيد محبوب رضوي، تاريخ دارالعلوم ديوبند (بالاردية) طبعة جديدة بدون التأريخ، الناشر: دارالكتب آرام باغ كراتشي - باكستان، ج 1 ص 124

Syed Mahboob Rizwi, History of Dar ul Uloom Dewband (Urdu version), new edition, publisher, Dar ul Kutub Aram Bagh Karachi, Pakistan, chapter 1, p 124.

(5) السيد محمد ميان، الماضى المجيد لعلماء الهند (بالاردية)، ط 1 سنة 1992م، الناشر: مكتبة رشيدية بكراتشي - باكستان، ج 1، ص 73
Syed Muhammad Mian, al Mazi al Majeed le Ulama al Hind, (Urdu version), edition 1, 1992, publisher, Maktaba Rashidia Karachi, Pakistan, chapter 1, p 73.

(6) حياة شيخ الهند، ص 14، تاريخ دارالعلوم ديوبند، ص 123
Hayat Shaikh ul Hind, p 14. History of Dar ul Uloom Dewband, p 123.

(7) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث: 896، والمستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ط 1، سنة 1411هـ، الناشر: دارالكتب العلمية بيروت، رقم الحديث: 6567

Sahih Muslim, Muslim bn al Hajaj Abu al Hussain al Nisabouri, editing Muhammad Foad Abd al Baqi, publisher: Dar Ihya al Turas al Arabi, Biuret, Bab Takhfif al Salah wa al Khutba, Hadith 896, Al Mustadrak al al Sahihain, Muhammad bn Abd Allh al Hakim al Nisabouri, edition 1st 1411, publisher Dar ul Kutub al Ilmiya Biuret, Hdith 6567.

(8) وله قصيدة واحدة بالفارسية أيضا مدح بها الشيخ محمد قاسم النانوتوي، أنظر: مولوي ذوالفقار علي، الهدية السنية، ص 5
He wrote Qasida in Persian, in which he praised Muhammad Qasim al Nanatvi, see for details: Molvi Zul Fi Qar Ali, al Hadiya al Saniya, p 5.

(9) سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، الناشر: دار راتب الجامعية، بيروت، د.ت، بدون ذكر الطبعة والسنة، ص 97
Siraj al Din Muhammad, al Ghazal fi al Sher al Arabi, publisher: Dar Ratib al Jamiya, Beirut, p 97.

(10) العلامة الشريف عبدالحى الحسنى، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الناشر: آرام باغ كراتشي - باكستان، ج 8، ص 141-143
al Alama al Sharif Abd al Haye al Hasani, Nuzha al Khawatir wa Bohjat al Masame wa al Nawazir, Aram Bagh Karachi Pakistan, chapter 8, p 141-143.

(11) أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تحقيق و شرح أحمد شاكر، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 1977م، ص 74-75

Abu Muhammad Abd Ullah bn Muslim bn Qutiba al Dinawari, al Sher wa al Shora, editing: Ahmed Shahr, publisher: Dar Ehya al Turas al Arabi, Beirut, 3rd edition 1977, p 74-75.

(12) انظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، المطبعة الخديوية المصرية، 1306 هـ، ج 25، ص 220-221

See: Muhammad Murtaza al Zubaidi, Taj al Uroos, al Matba al Khudivia al Misria, 1306, chapter 25, p 220-221.

(13) نزهة الخواطر و بحجة المسامع والنواظر، ج 8، ص 141-143

Nuzha al Khawatir wa Bohjat al Masame wa al Nawazir, chapter 8, pa 141-143.

(14) أنظر: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة التاسعة، سنة 1985م، ص 183

See: Ahmed al Shayeb, Usul al Naqd al Adabi, Maktaba al Nahza al Misria, 9th edition, 1985, p 183.

(15) الوصف، لجنة من أرباء الأقطار العربية، ط 3، الناشر، دارالمعارف مصر، ص 5-6

al Wasf, Lijna min Arba al Aqtar al Arabia, dition 3rd, publisher: Dar al Marif Ehypt, p 5-6.

(16) الهدية السننية في ذكر المدرسة الإسلامية الديوبندية، طبع جديد سنة 1400 هـ، مكتبة محمودية لاهور-باكستان، ص 11

al Haiya al Saniya fi Zikr al Madras al Islamiya al Dewbandiya, new edition 1400, Maktaba Mahmoodiya Lahore Pakistan p 11.

(17) ديوان شوقي، مرتب و شارح، الدكتور أحمد الحوفي، الناشر، دارالنهضة مصر للطبع والنشر القاهرة، ص 70

Diwan Shouqi, editing Dr. Ahmad al Houfi, Publisher: Dar al Nahza Egypt li al Tabe wa al Nashr Cairo, p 70.

(18) ديوان المتنبي لأبي الطيب، أحمد بن حسين الكندي، الشارح، محمد احتشام الحسن، الناشر، كتب خانه مجيدية ملتان-باكستان، ص 35

Diwan al Mutanabi for Abi al Tayyab Ahmad bn Hussain al Kindi, editor Muhammad Ehtasham al Hasan, Publisher: Kutub Khana Majidiya Multan Pakistan, p 35.

(19) ابن رشيقي القبرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، الطبوع بالقاهرة سنة 1344 هـ، ج 2، ص 147

Ibn Rashiq al Qirwani, al Umda fi Sina al Sher wa Naqdo, al Tabo Cairo 1344, chapter 2, p 147.

(20) المولوي ذوالفقار علي، الهدية السننية ص 4

al Haia al Sania, p 4.

(21) جمهرة اللغة، ابن دريد، ط 1، سنة 1345 هـ، مكتبة المتنبي بغداد، باب الدال والزا، مادة زهد.

Jamhara al Lugh for Ibn Durid, 1st edition 1345, Maktab al Mutanbi, Bagdad, Bab al Dal wa Zaye, root Zahida.

(22) الزهد في الشعر العربي، سراج الدين محمد، الناشر، دار راتب الجامعية، بيروت، د.ت، ص 1

al Zohd fi al Sher al Arabi, Siraj al Din Muhammad, Publisher: Dar Ratib al Jamiya, Beirut, p 1.

(23) مولوي ذوالفقار علي، الهدية السنية، ص 4

Molvi Zu al Fiqar Ali, al Hadiya al Saniya, p 4.

(24) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبدالقادر أبوشريفة، وحسين لافي قزن، ط 1، سنة 1413هـ، ص 25

Madkhal Ila Tahlil al Nass al Adabi, Dr. Abd al Qadir Abu Sharifa and Hussain Lafi Qazn, Edition 1st 1413, p 25.

(25) سيسل دي لويس، الصورة الشعرية ترجمة: د. أحمد نصيف الجنائي وآخرون، منشورات وزارة الثقافة والإعلام _ العراق، سنة 1982م، ص 74

Sisal Di Luis, al Surat al Sheriya, Translation: Dr. Ahmad Nasif al Jani and others, Manshoorat Wizarat al Saqafa wa Ilaam, Iraq 1982, p 74.

(26) مولوي ذوالفقار علي، التعليقات على السبع المعلقات، ط 3، سنة 1928م، الناشر، مطبع مجتبائي دهلي-الهند، ص 3

Molvi Zul Fiqar Ali, al Taliqat al Sab al Mualaqat, Edition 3rd, 1928, Publisher: Matba Mujtabi Dilhi, Hind, p 3.

(27) مولوي ذوالفقار علي، الهدية السنية، ص 4

Molvi Zul Fiqar Ali, al Hadiya al Saniya, p 4.

(28) سيسل دي لويس، الصورة الشعرية، ترجمة: د. أحمد نصيف الجنائي وآخرون، ص 12

Sisal Di Luis, al Surat al Sheriya, Translation: Dr. Ahmad Nasif al Jani and others, p 12.

(29) الأدب وفنونه دراسة ونقد، عزالدین اسماعیل، ط 5، سنة 1973م، الناشر، دارالفكر العربي بيروت، ص 139 وما بعده

al Adab wa Fanoonhu Dirasa wa Naqd, Izz ul Din Ismail, Edition 5th, 1973, Publisher: Dar ul Fikr al Arabi, Biuret, p 139.

(30) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د عبدالقادر أبو شريفة و حسين لافي قزن، ط 1 سنة 1413هـ، ص 40

Madkhal Ila Tahlil al Nass al Adabi, Dr. Abd al Qadir Abu Sharifa and Hussain Lafi Qazn, p 40.

(31) مولوي ذوالفقار علي، الهدية السنية، ص 11

Molvi Zul Fiqar Ali, al Hadiya al Saniya, p 11.

(32) مولوي ذوالفقار علي، التعليقات على السبع المعلقات، ص 3

Molvi Zul Fiqar Ali, al Taliqat ala Sab el Mualaqat, p 3.

(33) المرجع السابق، ص 3

Same, p 3.

(34) نفس المرجع ونفس الصفحة.

Same.

(35) كشف الخفاء للعجلوني 156/1 ، رقم الحديث 397، والفردوس بما ثور الخطاب لأبي شجاع شيرويه بن شهدار الديلمي الهمداني، المحقق، السعيد بن يسعوي زغلول، ط1، سنة 1986م ، الناشر، دارالمكتبة العلمية بيروت، ص 78/1 رقم الحديث: 236

Kashf al Khafâ for Ajalooni, 1/156, Hadith 397, wa Firdous bi Masoor al Khitab for Abu Shuja Shairwie bn Sherdar al Dilmi al Hamzani, Editiing: al Saeed bn Yasoni Zaglol, Edition 1st, 1986, Publisher: Dar al Maktaba al Ilmiya, Biuret, p 1/78, Hadith 236.

(36) مولوي ذوالفقار علي، الهدية السنية، ص 11

Molvi Zul Fiqar Ali, al Hadiya al Saniya, p 11,

(37) زين العابدين بن إبراهيم بن نُجيم ، الأ شباه والفظائر ، مع شرح السيدأحمد بن محمدالمصري، الناشر: إدارةالقرآن والعلوم الإسلامية كراتشي باكستان، ص 119-118

Zain al Abidin bn Ibrahim bn Nujim, al Ashba wa Nazair, ma Sharh al Syed Ahmed bn Muhammad al Misri, Publisher: Idara al Quran wa al Ulum al Islamiya Karachi Pakistan, p 118-119.

(38) المرجع السابق، ص 5

Same.

(39) ديوان العاشق الوامق قيس ابن ملحوش الشهير بمجنون ليلى العامرية، قام بجمعه الأديب أبوبكر الوالي، المطبوع بالطبعة الحسينية المصرية، ص35

Diwan al Ashiq al Wamiq Qais bn Malooh al Shaeer bi Majnoon Lila al Amiriya, compiled by Abu Bakr al Wali, Publisher al Taba al Hussainiya al Misriya, p 35.

(40) العلامة الشريف عبد الحي الحسيني، نزهة الخواطر، ص 143/8

al Alama al Sharif Abd al Haye al Hasani, Nuzha al Khawatir wa Bohjat al Masame wa al Nawazir, p 8/143.

(41) مولوي ذوالفقار علي، الهدية السنية، ص 4

Molvi Zul Fiqar Ali, al Hadiya al Saniya, p 4.

(42) د.عبدالله وهيبي، د.أحمدالحوي، و د.محمودأحمدعبد، الأساس في النقدوالبلاغة، ط7، سنة1392هـ، الناشر:المللكةالعربيةالسعودية وزارة المعارف الكتب والمقررات المدارس، ص 14

Dr. Abd Allah Wahbi, Dr. Ahmed al Houfi, wa Dr. Mahmood Ahmad Abdo, al Asas fi al Naqd wa al Balagh, 1392, Publisher: Kingdom of Saudi Arabia, Wazarat al Marif al Kutub wa al Muqarrart al Madarasa, p 14.

(43) العلامة الشريف عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، 143/8

al Alama al Sharif Abd al Haye al Hasani, Nuzha al Khawatir wa Bohjat al Masame wa al Nawazir, p 8/143.

(44) سورة الحديد، رقم الآية: 3

Sura al Hadid, verse 3.

(45) العلامة الشريف عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، ص 141/8

al Alama al Sharif Abd al Haye al Hasani, Nuzha al Khawatir wa Bohjat al Masame wa al Nawazir, p 8/141.

(46) نفس المرجع، ص 143/8

Same.

(47) نفس المرجع، ص 141/8

Same.

(48) السيد أحمد الهاشمي، جوهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع، ط 1، سنة 1377 هـ، الناشر: خيابان انقلاب تهران، ص 241-242

al Syed Ahmad al Hashmi, Jouhar al Balagh fi al Mani wa al Bayan wa al Badi, 1st Edition 1377, Khayaban Inqilab Tehran, p 241-242.

(49) العلامة الشريف عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، ص 141/8

al Alama al Sharif Abd al Haye al Hasani, Nuzha al Khawatir wa Bohjat al Masame wa al Nawazir, p 8/141.

(50) نفس المرجع، ص 142/8

Same.

(51) مولوي ذوالفقار علي، الهدية السننية، ص 4

Molvi Zul Fiqar Ali, al Hadiya al Saniya, p 4.

(52) محمد قاسم النانوتوي، القصائد القاسمية، ص 19

Muhammad Qasim al Nanwatwi, al Qasaid al Qasmia, p 19.

(53) العلامة الشريف عبد الحي الحسني، نزهة الخواطر، ص 143/8

al Alama al Sharif Abd al Haye al Hasani, Nuzha al Khawatir wa Bohjat al Masame wa al Nawazir, p
8/143.